أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

دراسة

صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا

الأبعاد والتداعيات

إعداد: د. محمد عصام لعروسي

نيسان/أبريل 2023

dimensioncenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - ©2023

info@dimensionscenter.net

تمهيد

شهدت الانتخابات الأوروبية (2019 ـ 2022) موجات متوالية من انتصار الأحزاب اليمينية المتطرفة وتبوُّئِها مكانة مركزية في الخريطة السياسية بأوروبا، حيث شهدت العديد من الدول الأوروبية تراجُعاً اقتصادياً كبيراً، مع فشل حكومات اليسار واليمين في تحقيق برامجها السياسية ووعودها الانتخابية، ما دفع بالأحزاب اليمينية المتطرفة إلى واجهة الأحداث حيث تنتصر للخطابات القومية والمعادية للهجرة على خطابات الأحزاب المعتدلة من أحزاب اليسار واليمين على حد سواء.

يمكن إيعاز ازدهار وصعود اليمين المتطرف إلى أسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية في العديد من الدول الأوروبية، فمن الصعب تحديد أيها الأكثر أهمية. من المؤكد أن الأزمة الاقتصادية التي اندلعت في عام 2008 وما تلاها من سعي الاتحاد الأوروبي والحكومات الوطنية الحازمة لاتخاذ إجراءات للسيطرة على العجز النيوليبرالي والتقشف باعتباره أحد العوامل الرئيسية من وراء صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة.

مثل هذه السياسات الاقتصادية تزيد من الفجوة بين النخبة ذات الامتيازات والجانب الأكبر من السكان، وبالتالي تستغل الأحزاب والتيارات اليمينية المتطرفة استياء فئات عريضة من المواطنين الذين يعانون في قعر السلم الاجتماعي. ومما يزيد الوضع تعقيداً التغيرات الاجتماعية التي أدت إلى تقليص الطبقة العاملة الصناعية السابقة، التي كانت تدعم تقليدياً الأحزاب اليسارية الكلاسيكية. أدت التغييرات الثقافية، ولا سيما أزمة الأيديولوجيات الكبرى (خاصة على اليسار، مع تطلعاتها التحويلية) إلى انتشار وجهات النظر الفردية والانقسامية والساخرة للواقع في جميع أنحاء المجتمع الأوروبي[1].

(1) Cesáreo Rodríguez-Aguilera, The Rise of The Far Right in Europe, IEMed Mediterranean Yearbook 2014 link:

https://www.iemed.org/publication/the-rise-of-the-far-right-in-europe

تحاول هذه الورقة تفسير أسباب انتشار أفكار وفوز أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا وما هي انعكاسات هذه الظاهرة على البنيات المؤسساتية داخل الاتحاد الأوروبي والسياسات العمومية المتبعة من قِبل هذه الحكومات ومدى قدرتها على إيجاد حلول اجتماعية واقتصادية لمجتمعاتها؟ وتأثير هذا الصعود على مشروع الاتحاد الأوروبي الذي دخل منذ فترة طويلة في سياسة التوسع شرقاً واستقطاب دول أوروبا الشرقية؟

وما هو تأثير هذا الصعود على أداء البرلمان الأوروبي كهيئة تشريعية مركزية في الاتحاد الأوروبي، وخاصة أن عدد المشرعين الإيطاليين مرتفع مقارنة مع عدد الساكنة، وخاصة إزاء ملف الهجرة، وما هو التأثير المحتمل على المناطق الجغرافية الأخرى خاصة منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التي قد تتضرر من السياسات العنصرية لليمين المتطرف، وخاصة إزاء قضايا الهجرة والتوطين والاندماج.

أولاً: فوز أحزاب يمينية متطرفة في الانتخابات: خرائط سياسية جديدة في أوروبا

الرسم البياني: الأحزاب اليمينية المتطرفة بأوروبا خلال انتخابات 2019

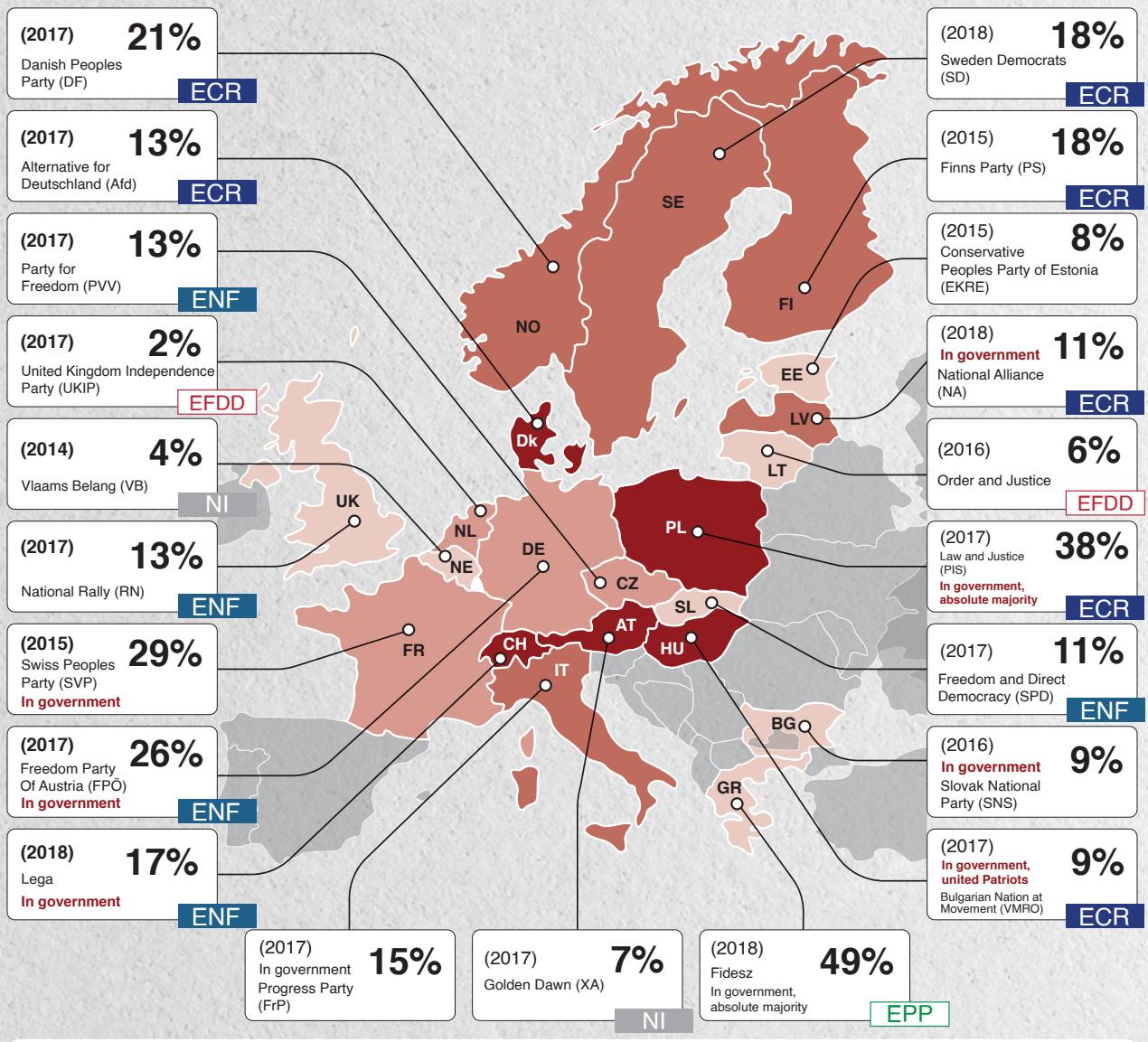

Affiliation to groups in the European Parliament

- ECR European Conservatives and Reformists
- ENF Europe of nations and freedom
- NI European Conservatives and Reformists
- EFDD Europe of Freedom and Direct Democracy
- EPP European People Party

من المجر إلى النمسا والسويد وصولاً إلى فرنسا وأخيراً إيطاليا، وجدت أحزاب اليمين المتطرف وتحالفاتها، في موجات الهجرة والاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية وتراجع القدرة الشرائية وأزمة الطاقة نتيجة الحرب الروسية الأوكرانية، بيئة خصبة للتفريخ والنمو في ظل التراجع التاريخي لأحزاب اليسار وغياب المناعة الطبيعية واللقاحات الضرورية لبقية الأحزاب الوسطية الأوروبية لكبح جماح هذه العدوى السريعة وتفشي ظاهرة التحالفات اليمينية المتطرفة.

وفيما يشبه "متحوِّرات كورونا" السريعة العدوى والانتشار، انتقلت عدوى التحالفات اليمينية المتطرفة في عدة بلدان أوروبية بسرعة الفترة الأخيرة، وانتشرت كالنار في الهشيم محققة "حركية" كبيرة، لتراكم النجاح تِلْوَ الآخر[2].

وما تعرفه أوروبا يتشابه في البنيات والتوجهات العالمية، حيث أصبحت معظم البلدان في العالم تمتلك أرضاً خصبة للسياسات اليمينية المتطرفة، بما في ذلك المناطق التي لطالما اعتُبرت "محصنة" ضدها، مثل أيرلندا والبرتغال وكندا وإسبانيا. علاوة على ذلك، يمتد المشهد اليميني المتطرف في شكل عدوى تستشري وتنتشر، ما وراء أوروبا الغربية. حيث نمت وازدهرت أيضاً في وسط وشرق أوروبا بشكل كبير خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

يتمتع اليمين المتطرف بحضور تاريخي ومعاصر في أمريكا اللاتينية، ودول جنوب أسيا كالهند وإندونيسيا وميانمار وتركيا، وكذلك في البلدان الصناعية مثل أستراليا وإسرائيل واليابان وجنوب إفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية. ضمن هذا السيناريو العالمي، يتميز اليمين المتطرف بمتغيرات مختلفة من جوهر أيديولوجي مشترك، ويحتوي على العديد من البنيات والتنظيمات الموازية، حيث تتجاهل السياسة اليمينية المتطرفة التمييز بين الأنماط المختلفة للمشاركة السياسية، حيث تجمع الجماعات اليمينية بين عضوية الحزب التقليدية وأشكال النشاط غير التقليدية (إنْ لم تكن عنيفة)، والقضايا اليسارية والأفكار اليمينية المتطرفة، فضلاً عن الصور التقليدية واستغلال رموز الثقافة والهُوِيَّات الضيقة[3].

(2) عبد المجيد دقنيش: بعد المجر والنمسا والسويد.. ما تأثير فوز اليمين المتطرف في إيطاليا على وحدة أوروبا؟ بتاريخ 29. 09. 2022، الرابط:
https://www.aljazeera.net/politics/2022/9/29/%D8% 8%A7

(3) Pietro Castelli Gattinara, Eviane Leidig, and Jacob Aasland Ravndal : What characterizes the far right scene in Europe and beyond? The link:
https://www.sv.uio.no/c-rex/english/groups/compendium/what-characterizes-the-far-right-scene-in-Europe-and-beyond.html

وقد مرّت السياسة الأوروبية على مدار الأعوام الماضية بعدة منعطفات؛ أدت إلى تغير كبير في ملامحها العامة نتيجة صعود التيار القومي وقوى اليمين المتطرف في مواجهة الديمقراطيات، تلك التحولات ستؤثر بما لا يدع مجالاً للشك على خريطة السياسة الأوروبية، داخلياً وخارجياً، وستفرز تحوُّلات جديدة لتحالُفات لم تكن قائمة في مقابل نهاية تحالُفات أخرى، كما تلقي هذه التحولات بظلالها على منطقة الشرق الأوسط التي من المتوقع أن تشهد علاقاتها بأوروبا إعادة ترتيب الأوراق من جديد.

ومنذ مطلع سنة 2022 سجل اليمين المتطرف صعوداً تاريخياً في دوائر السلطة في كل من المجر والنمسا والسويد وفرنسا، وصولاً إلى إيطاليا التي فازت فيها زعيمة اليمين المتطرف جورجيا ميلوني في الانتخابات التشريعية التي جرت في البلاد في تشرين الأول (أكتوبر) 2022، الأمر الذي يثير مخاوف عديدة من سياسات اليمين المتطرف حول عدة ملفات أبرزها "الهجرة"[4].

لقد اجتاحت موجة يمينية شعبوية الاتحاد الأوروبي من 2015 إلى 2020، حيث انتخبت بولندا حكومة يمينية متشددة، ثم شهد العام التالي خروج المملكة المتحدة من الاتحاد الأوروبي في عام 2016. وتبع ذلك انتخاب حكومات يمينية شعبوية في النمسا وإيطاليا، وأعادت المجر انتخاب حزب فيكتور أوربان في عام 2018. بعد ذلك أعادت بولندا انتخاب نفس حكومتها في عام 2019 [5] على الرغم من أن هذه الموجة انتهت بالفعل، فمن الواضح أن موجة ثانية قد بدأت في التصاعد خلال سنة 2022، وربما تهدد أسس الاتحاد الأوروبي. لكن إذا أراد أنصار الوحدة والاندماج الأوروبي، فهم كيفية التعامل مع هذه الموجة الثانية ومنع تصعيدها[6]، فيجب عليهم أولاً التعرف وتبيان الأسباب الحقيقية للموجة الأولى من صعود اليمين المتطرف.

في البداية ردت مؤسسات الاتحاد الأوروبي، والعديد من وسائل الإعلام الأوروبية، على هذه الموجة الأولية من النجاح الشعبوي بالتغاضي وعدم الاهتمام. وأهدرت فرصاً مبكرة لإثبات أن مؤسسات الاتحاد الأوروبي تشتغل بشكل ديمقراطي خلال الانتخابات البرلمانية للاتحاد الأوروبي في عام 2019.

(4) رشا عمار: ما تداعيات صعود اليمين المتطرف في أوروبا على الشرق الأوسط؟ بتاريخ 06/10/2022 الرابط:

https://hafryat.com/ar/blog/8

(5) Antony Constantini, Understanding Europe's shift to the right, the link, September, 30, 2022

https://www.politico.eu/article/understanding-europes-shift-to-the-right

(6) Griff witt and Lisa Beck, Austria turns sharply to the right in an election shaped by immigration, the link

https://www.washingtonpost.com/world/europe/austrian-election-yields-a-hard-right-turn-as-conservative-and-nationalist-parties-gain/2017/10/15/d1dce850-ad22-11e7-9b93-b97043e57a22_story.html

فبينما كان من المتوقع أن يصبح زعيم أكبر حزب منتخب رئيساً للمفوضية الأوروبية، اختار القادة بدلاً من ذلك وزيرة الدفاع الألمانية آنذاك أورسولا فون دير لاين - التي لم ترشح نفسها ولم تكن مرشحة أو على الأقل وجهاً سياسياً معروفاً – وهذا ما دفع عدداً كبيراً من الناخبين للشعور بأنهم غير ممثلين بشكل ديمقراطي.

ويعتبر حنق الناخبين من موضوع الهجرة دافعاً ومحركاً أساسياً[7] في العديد من الاستحقاقات الانتخابية، وقد تم تجاهله في كثير من الأحيان والاكتفاء بتوجيه سهام النقد إليه باعتباره لا يعني سوى ارتفاع منسوب العنصرية، حيث عزا الإعلام معظم انتصارات اليمين إلى مجرد تضليل إعلامي فحسب. وبعد عدم القيام بأي شيء لإحداث تغيير حقيقي، في اللحظة التي كانت هناك أقصر فترة لتوقف الانتصارات الشعبوية من أوائل عام 2020 إلى أوائل عام 2022 - في خضم جائحة COVID-19 - فشل المحللون أنفسهم في شرح كيفية انتهاء الموجة الشعبوية التي انتشرت فعلياً في أوروبا ومناطق أخرى من العالم[8].

(7) Yacsha Mounk, We Might Have Reached Peak Populism, July 7, 2021the Link:
https://www.theatlantic.com/ideas/archive/2021/07/peak-populism/619368

(8) L'identit» nationale : un marqueur id»ologique central du FN et du RN, 21 october 2021,
https://www.leddv.fr/analyse/lidentite-nationale-un-marqueur-ideologique-central-du-front-national-et-du-rassemblement-national-20210809

ثانياً : أهمّ الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا

ا. حزب الجبهة الوطنية في فرنسا

يُشكل حزب الجبهة الوطنية وهو حزب سياسي فرنسي يميني، أسسه جان ماري لوبان في سنة 1972 باسم الجبهة الوطنية من أجل الوحدة الفرنسية، وبقي رئيساً له حتى يناير 2011. ويتزعم هذا التيار حالياً جوردان باريديلا منذ 5 نوفمبر 2022، وهو نموذج من الأحزاب السياسية التي تسعى إلى حماية الهُوِيَّة الفرنسية. هذا ما يصطلح عليه "التفضيل القومي". يمثل موضوع الهُوِيَّة الوطنية، محور برامج المواجهة، تلك اللحمة التي توحد البناء الأيديولوجي الهُوِيَّاتي للحزب.
وترتبط هذه المؤشرات السياسية بـ "مكافحة الهجرة" المرتبطة بانعدام الأمن. إنها مسألة إعطاء الأولوية للهُوِيَّة الفرنسية وحمايتها والحفاظ عليها، والتي لن تشمل الفرنسيين من أصل شمال إفريقي أو مسلم، الذين يُنظر إليهم على أنهم تهديد داخلي، كنتيجة طبيعية، للخوف من تفكك الهُوِيَّة الفرنسية. هيمنة الهُوِيَّة الأجنبية[9].
حسب جان إيف لو جالو الناشط السياسي في صفوف الجبهة، فإن الإسلام ليس ديناً فحَسْبُ، بل هو أيضاً "مجموعة من الممارسات الاجتماعية التي تميل إلى فرض طقوسها ومبادئها على المجتمع ككل وتُسهم في التشكيك وتدمير جزء من الهُوِيَّة الفرنسية. فبالنسبة لهذا المنظِّر اليميني المتطرف الداعم لفكرة "التفضيل القومي"، فإن الإسلام يجعل المهاجرين مختلفين ومناقضين للهُوِيَّة الفرنسية، حيث يُظهر الإسلام رغبته في عدم الرغبة في الاندماج في النسيج الثقافي والهُوِيَّاتي الفرنسي[10].

(9) Idem

(10) داليا ماران: صعود اليمين المتطرف في ألمانيا وإمكانية مقاومته، الرابط:
https://www.project-syndicate.org/commentary/germany-far-right-populists-afd-little-success-by-dalia-marin-2022-11/arabic

2. حزب البديل من أجل ألمانيا

قبل ظهور حزب البديل من أجل ألمانيا في عام 2013 بصفته حزباً مناهضاً لليورو ومعادياً لخطة إنقاذ اليونان، لم تشهد ألمانيا صعود أي حركة شعبوية يمينية ناجحة[11]. ولأن التجارة كحصة من الناتج المحلي الإجمالي كانت راكدة بالفعل منذ الأزمة المالية التي اندلعت عام 2008 [12] فسرعان ما حوَّل الحزب تركيزه إلى سياسات كراهية الأجانب ومعاداة المهاجرين.

ويعكس المسار السياسي الذي اتخذه حزب البديل من أجل ألمانيا شعبيته في شرق ألمانيا، حيث فاز الحزب بنسبة 27,5٪ وبنسبة 23,5٪ في ساكسونيا وبراندنبورج على التوالي ـ ما يقرب من ضعف حصته في ولايات ألمانيا الغربية.

وتمتد جذور هذا التفاوت إلى الفترة التي سبقت إعادة توحيد شطرَي البلاد في عام 1990، عندما حررت حكومة ألمانيا الغربية التجارة مع ألمانيا الشرقية بين عشية وضحاها [13].

3. فورزا نوفا:

إن حجر الزاوية في أيديولوجية فورزا نوفا[14] المُحافِظة يتجلى بشكل أفضل في شعارها "الإيطاليون أولاً". تشجع فورزا نوفا النمو السكاني الإيطالي العِرْقي وتسعى إلى حظر الإجهاض وإعادة الكنيسة الكاثوليكية ككنيسة رسمية للجمهورية الإيطالية. كما تعارض فورزا نوفا زواج المثليين وتبنيهم من قِبل الأزواج المثليين. وشملت إحدى حملاتها الأكثر شهرة، والتي نددت بالمثليين جنسياً في إيطاليا، عن طريق لوحات إعلانية.

تحاول فورزا نوفا الضغط لترحيل المهاجرين الجدد من إيطاليا ومنع المزيد من الهجرة إلى البلاد. وتلقي المجموعة خطباً وتضع لوحات إعلانية حول المدن الإيطالية، محذرة السكان مما يدعون أنه مخاطر الهجرة، مشيرة إلى أن المهاجرين سيجلبون "الجرب والتهاب السحايا والسل والإيبولا" إلى إيطاليا. بعد أن قتل مادا كابوبو، وهو مهاجر غاني مواطناً إيطالياً بفأس في مايو 2013، أطلقت فورزا نوفا حملة بعنوان "الهجرة تقتل". وتعرض اللوحات الإعلانية لحملة "الهجرة تقتل" صوراً لمهاجرين أُدينوا بارتكاب جرائم عنيفة، وتناثرت صورهم في الدماء. "مَن سيكون التالي؟" على الملصقات واللوحات الإعلانية.

(11) The World Bank Report, the link: Trade (% of GDP) – Germany | Data (worldbank.org)

(12) داليا ماران: مرجع سابق.

(13) counter extremism project, Forza Nuova, the link : https://www.counterextremism.com/threat/forza-nuova/report

(14) رابطة الشمال الإيطالية، الرابط:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2015/3/22/

معاداة السامية هي أيضاً عنصر رئيسي في أيديولوجية فورزا نوفا. في يونيو 2008، تحدث رئيس فورزا نوفا روبرتو فيوري عن دعمه للرئيس الإيراني آنذاك محمود أحمدي نجاد. وعندما سُئل عن محادثته القصيرة مع أحمدي نجاد، قال فيوري: "نحن في فورزا نوفا ضد أي حدث حرب يتمناه اللوبي اليهودي الأمريكي ضد الشعب الإيراني". وقبل ساعات من وصوله إلى روما، صرح أحمدي نجاد بأن إسرائيل "ستختفي من المشهد الجغرافي". كما ندد زعيم فورزا نوفا روبرتو فيوري علناً بالحروب الأمريكية التي كما يزعم، بدأها "الأشخاص الذين وضعوا المسيح على الصليب".

رفع أفراد من Forza Nuova وCasapoundg دعوى قضائية في المحكمة الابتدائية في روما ضد فيسبوك بعد أن أزال محتويات لهم تحمل خطاب الكراهية، مدعين أن إزالة صفحات المستخدمين غير قانونية وانتهاك لحقهم في حرية التعبير. أصدرت المحكمة في 23 فبراير 2020، قراراً أيّد عمليات الإزالة، مدعياً أن خطاب الكراهية لم يكن محميا بالحق في حرية التعبير، ويحق لفيسبوك اتخاذ إجراءات بناءً على شروط الخدمة الخاصة به.

4. ليقا نورد:

تأسس حزب رابطة الشمال الإيطالية واسمه الكامل "رابطة الشمال لاستقلال بادانيا" عام 1989 عقب اندماج بين رابطتَيْ لومباردا وفانيتا. كان السياسي أمبرتو بوسي أحد أبرز مؤسسي الرابطة التي ضمت تشكيلات سياسية من شمال إيطاليا ووسطها[15]، وهو حزب سياسي إيطالي شعبوي يميني متطرف برز في عام 2018 بشأن سياسات مناهضة للهجرة ويتبنى شعار "الإيطاليون أولا". أسس أومبرتو بوسي الرابطة في التسعينيات لتمثيل الإيطاليين الشماليين. قام بحملة حول فكرة الحصول على الاستقلال لمنطقة شمال إيطاليا التي أطلق عليها اسم بادانيا.

في النصف الأخير من القرن العشرين، اتسعت الفجوة الاقتصادية بشكل كبير بين الجنوب الزراعي لإيطاليا والشمال الصناعي، وبالتالي هاجر العديد من الإيطاليين الجنوبيين إلى الشمال. بدأ بوسي في إلقاء اللوم على الإيطاليين الجنوبيين في المصاعب الاقتصادية في شمال إيطاليا، ويحطّ من قدر الناس بانتظام باعتبارهم طفيليات كسولة تعيش على الشماليين المجتهدين ويتبنى الحزب توجهاً عنصرياً معادياً للمهاجرين والأجانب..

(15) Brothers of Italy Fratelli d'Italia, European conservatives and reformists the link:
https://ecrgroup.eu/ecr/party/brothers_of_italy

5. إخوة إيطاليا:

تأسست منظمة Fratelli d'Italia في عام 2012، وهي قوة ناشئة في السياسة الإيطالية حيث زاد الحزب من حصته في التصويت خلال الانتخابات الوطنية لعام 2018 والانتخابات الأوروبية لعام 2019. يعزز الحزب احترام السيادة والوحدة الوطنية، ويؤكد أهمية نظام ضرائب عادل ومستدام وحديث، ويدافع عن ضرورة الأمن وسيادة القانون والتماسُك الاجتماعي[16].

تأسس الحزب خلفاً للتحالف الوطني، الذي نهض من رماد الحركة الاجتماعية الإيطالية 1946-1995 التي شكلها أعضاء من الحزب الفاشي الوطني بقيادة الديكتاتور بينيتو موسوليني. وتنفي ميلوني زعيمة الحزب أي صلة له بأفكار موسوليني لكنه حريص على عدم إدانة حكمه. "كانت ميلوني ناشطة في سياسات ما بعد الفاشية منذ شبابها"، قال بييرو إغنازي، الأستاذ الفخري في جامعة بولونيا والخبير في شؤون إخوان إيطاليا: "ترتبط هُوِيَّة الحزب، في معظمها، بتقاليد ما بعد الفاشية. لكن منصتها تمزج هذا التقليد مع بعض الأفكار المحافظة السائدة والعناصر النيوليبرالية مثل المشاريع الحرة[17].

(16) اليمين المتطرف يجتاح أوروبا سياسياً الأسباب والتداعيات ـ ملف، المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات الرابط:
https://www.europarabct.com/%D9%85%D9%84%D9%81-% %A7%D8%B3%D9%8A

(17) Pietro Castelli Gattinara, Eviane Leidig, and Jacob Aasland Ravndal : What characterizes the far right scene in Europe and beyond? The link:
https://www.sv.uio.no/c-rex/english/groups/compendium/what-characterizes-the-far-right-scene-in-Europe-and-beyond.html

ثالثاً : موجة جديدة من صعود اليمين في أوروبا

إن نجاح العديد من الأحزاب اليمينية المتطرفة في الانتخابات يرجع لعدة أسباب أهمها استخدام العديد من التيارات اليمينية للتقارب مع المواطنين وللحفاظ على الشعبية والنجاعة الانتخابية بعدما فشلت هذه التيارات في حل العديد من الأزمات وخاصة الأزمة الصحية العالمية "كوفيد 19" وحالة الانحصار الاقتصادي وسياسات التقشف والإجراءات الانعزالية.

يبدو أن المجال السياسي الرئيسي لليمين المتطرف المعاصر هو الساحات المحلية الوطنية. يخوض معظم الفاعلين اليمينيين المتطرفين الانتخابات الوطنية، وينظمون حول قادة وطنيين معترف بهم، ويحشدون حول القيم والقضايا الوطنية (المزعومة). والمثال النموذجي لهذه الأحزاب هو التجمع الوطني الفرنسي، تحت قيادة مارين لوبان (سابقاً الجبهة الوطنية التي أسسها جان ماري لوبان)، لكن الأمثلة الأكثر حداثة تشمل فوكس وزعيمها سانتياغو أباسكال في إسبانيا.

في حين أن السياسات العمومية الوطنية لا تزال هي القناة الأساسية للتعبئة وجوهر الصراع السياسي لدى أحزاب اليمين، فإن اليمين المتطرف أصبح يتجاوز الإطار الوطني الضيق ليلامس البُعد الدولي ويصل إلى النطاقات فوق الوطنية والعابرة للحدود. فأحزاب مثل التجمع الوطني في فرنسا وحزب الشعب الدنماركي، على سبيل المثال، استفادت من المؤسسات فوق الوطنية مثل البرلمان الأوروبي لبناء روابط وشراكات دولية.

بالإضافة إلى ذلك، تواصلت في السنوات الأخيرة إحياء عملية التعبئة عبر البلاد ضد المهاجرين واللاجئين، من خلال الانتشار السريع لشبكة الهُوِيَّة الأوروبية، ومضاهاة مسيرات PEGIDA خارج ألمانيا، وظهور دوريات شوارع المواطنين. باتباع النموذج الإسكندنافي لجنود أودين.

وتجاوزت بعض الروايات اليمينية المتطرفة، ولا سيما تفوق البيض والذكور، الحدود الوطنية لتصبح عابرة للحدود بشكل فعّال. استفادت الشبكات العالمية مثل ما يسمى بحركة "الجهاد المضاد" بشكل خاص من التوفر المتزايد للمساحات على الإنترنت التي تسمح بتواصُل أكبر بين الجهات اليمينية المتطرفة والأفراد المعادين للإسلام، والتي تمتد من أوروبا إلى أمريكا الشمالية إلى آسيا[18].

(18) Emmanuel Macron admits that he "failed to stem" the vote in favor of the extremes during his mandate, le journal Le Monde, Emmanuel Macron admits that he "failed to stem" the vote in favor of the extremes during his mandate (lemonde.fr)

في فرنسا مثلاً، وبحلول نهاية فترته الأولى، كان ماكرون قد اعترف بفشله في الحدّ من قوة التيارات المتطرفة. وجاء فشل ماكرون تكريساً لنجاح يميني لم يَخفُتْ منذ 40 سنة، فقد شكّل هذا التيار رغم اختلاف نتائجه الانتخابية بين الحقب المختلفة رافداً سياسياً مهماً في البلاد[19]، وتمكَّن من دخول المؤسسات رغم أنه نظرياً ضد النظام السياسي. ثم تكلَّلت مجهوداته في الانتخابات الأخيرة بتحقيق نتائج مهمة، فإلى جانب لوبان التي خاضت جولة الإعادة الأخيرة أمام ماكرون، يوجد أيضا "إريك زمور" الذي انتزع نحو 2,5 مليون صوت بالإضافة إلى "نيكولا ديبون إنيون". وفي الأخير، حصل الثلاثي على نسبة تصل إلى ثُلث المصوتين الفرنسيين، وهو إنجاز كبير ومخيف في الوقت نفسه.

لم يحقق اليمين المتطرف هذه النتائج بمحض الصدفة، فقد ساهم الإعلام الفرنسي في عملية التطبيع مع الأيديولوجيات المتطرفة حتى الفاشية منها، وساهمت سياسات ماكرون في تغول المشهد السياسي وتطرفه عبر مجموعة قوانين وتحرُّكات استهدفت المهاجرين والمسلمين، فأضحت الأفكار التي ينظر إليها على أنها فاشية مشاريعَ سياسية لتيارات اليمين الجمهوري وتيار الوسط، مثل فكرة إنشاء وزارة للهجرة والهُوِيَّة الوطنية[20].

ساهم الرئيس الفرنسي في خلق مناخ سياسي متسامح مع جميع الأفكار العنصرية، كما عقد صداقات مع رموز يمينية متطرفة مثل "فيليب دو فيليي"، سكرتير الدولة السابق المقرب من ماريون ماريشال لوبان، الذي انضم إلى حملة زمور بعد ذلك، بل إن زمور نفسه قال[21] إن ماكرون أخبره سرّاً أنه يتفق معه في عدد من الأفكار التي يطرحها، وعلى رأسها إيمانه بنظرية "الاستبدال الكبير" وخطورة الإسلام في فرنسا على هُوِيَّة الدولة والمجتمع. وسمح ماكرون أيضاً لوزرائه بالانخراط في النقاشات حول وجود جبهة "يسارية-إسلامية" تعمل ضد مصالح الجمهورية، بل إن وزير داخليته جيرارد دارمانان اتَّهم لوبان نفسها بعدم الجدية والحزم في مواجهة "الخطر الإسلامي". ولم يتردد رجال ماكرون في الدخول في أي نقاش مطروح من طرف التيار الفاشي[22].

(19)The presidential election will mark the victory of the normalization of the far right the link: The presidential election will mark the victory of the normalization of the far right – Lib»ration (liberation.fr)

(20)Ellin Salvi, Far right: Macron calls to extinguish the embers on which he blew, the Link:

Far right: Macron calls to extinguish the embers on which he blew | Mediapart

(21) Zemmour recounts a conversation with the head of state: a “marketing” coup according to Macron, le parisien , the link:

Zemmour recounts a conversation with the head of state: a “marketing” coup according to Macron – Le Parisien

(22) رغم فوز ماكرون.. كيف كسب اليمين المتطرف معركة الانتخابات الفرنسية؟ الرابط:

https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2022/4/258%B7%D8%B1%D9%81

شكلت الانتخابات البرلمانية التي نُظمت في شهر أكتوبر 2022 لحظة فارقة في تاريخ إيطاليا، بوصول حكومة يمينية متطرفة بقيادة المحافظين الرئيسيين جيورجيا ميلوني، زعيمة إخوان إيطاليا وحليفها الشعبوي ماتيو سالفيني، زعيم العصبة، بتحقيق نصر حاسم على يسار الوسط المنقسم بشكل كبير.

وهذه هي أول تجربة لإيطاليا مع حكم اليمين المتطرف منذ عهد الدكتاتور الفاشي بينيتو موسوليني، بعد 69 حكومة متنوعة أيديولوجياً منذ الحرب العالمية الثانية. ويخشى العديد من الإيطاليين من كبح الحريات الشخصية وتقليص مساحة الديمقراطية. ويخشى آخرون من أن تيار الإخوة الإيطاليين الذي يفتقر إلى الخبرة نسبياً، والذي يقود التحالف، يفتقر إلى الكفاءة اللازمة لركوب غمار التجربة الحكومية في إيطاليا ومواجهة تحدياتها الاقتصادية الحالية[23].

كل من ميلوني -وهي من المحافظين النشطين بدأت مسيرتها السياسية كناشطة في جناح الشباب في الحركة الاجتماعية الإيطالية الفاشية الجديدة- وسالفيني، الذي كان من المعجبين بشدة بشخصية الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، من المشككين في مشروع الاتحاد الأوروبي. لقد انتقدوا بشدة الاتحاد – حيث وصفت ميلوني بيروقراطيي بروكسيل بكونهم عملاء "للنخب العالمية العدمية التي تقودها مؤسسات وجماعات التمويل الدولي" – وكلاهما يهددان بمغادرة منطقة اليورو[24]، بالرغم من تخفيض نبرتهم العدائية بعض الشيء بعد النجاح في الانتخابات. كما يمكن تسجيل بعض الاختلاف من داخل الائتلاف الحكومي حيث تواصل ميلوني موقف إيطاليا بخصوص دعم أوكرانيا في مواجهة روسيا في حين يرى سلفيني أن دعم أوكرانيا والاستمرار في الاصطفاف مع الموقف الغربي يجب ألَّا يكون ضد المصالح الاقتصادية للشعب الإيطالي[25].

(23) Amy Kazmin, What an Italy led by the far-right might mean for Europe, Financial Times the Link: https://www.ft.com/content/649d7326-8013-412d-84f3-97fc3a5069e3

(24) Amy Kazmin, Idem

(25) Matt Golder, Far Right Parties in Europe, Annual Review of Political Science Vol. 19:477-497 (Volume publication date May 2016) the link: https://doi.org/10.1146/annurev-polisci-042814-012441

رابعاً: انتصار الشعبوية رد فعل عن فشل الأحزاب التقليدية في الحكم

يربط العديد من الدراسات نجاح العديد من الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا بالتغيير الذي طال طبيعة المنافسة الحزبية. ويرتكز هذا الطرح على أن أحزاب اليمين المتطرف تواجه بيئة مواتية عندما تتقارب الأحزاب الرئيسية في فضاء السياسة وتتشابه أهدافها وبرامجها، في ظل هذه الظروف، يتجه الناخبون إلى الأحزاب الشعبوية، بما في ذلك تلك الموجودة في أقصى اليمين، التي تنتقد الأحزاب الرئيسية لتواطُئِها بدلاً من التنافس على السلطة. لأن التقارب يزيل الطابع السياسي عن البُعد (الاقتصادي) الأساسي الذي هو مجال التنافس بين الأحزاب، ويلجأ الناخبون أيضاً إلى الأحزاب التي تتنافس على أبعاد السياسات البديلة.

الطرح الثاني يذهب إلى أن أحزاب اليمين المتطرف تعمل بشكل أفضل عندما تتبنّى الأحزاب اليمينية الرئيسية مواقف وسطية؛ لأن اليمين المتطرف لديه مساحة سياسية أكبر لاستغلالها. الأدلة على كل من هذه الادعاءات متنوعة ومختلفة، وهناك مَن يعتبر أن هذا الأمر ليس له أي تأثير على نمو اليمين المتطرف[26].

وهناك مِن المحللين مَن يربط نجاح اليمين المتطرف بالأزمات والخيبات الاقتصادية التي عرفها العالم مؤخراً، ويقدمون عادة تفسيرات من منطلق نظرية النزاع الواقعية (كامبل 1965). حيث إنه في أوقات الندرة الاقتصادية، تتنافس المجموعات الاجتماعية ذات المصالح المادية المتضاربة على الموارد المحدودة والشحيحة. يمكن لأحزاب اليمين المتطرف استغلال فشل السياسات الاقتصادية في عهد الحكومات اليمينية واليسارية التي فشلت في تحقيق أهدافها، من خلال ربط المهاجرين والأقليات بالصعوبات الاقتصادية وتحريك شعارات مثل "القضاء على البطالة" و"أَوْقِفوا الهجرة".

العديد من الشواهد تدعم هذا الربط بين الانهيار الاقتصادي والتذمر الاجتماعي على المستوى الفردي في أوروبا. وأصبحت تصف خصائص الناخب اليميني المتطرف النموذجي، باعتباره فرداً يتنافس مع المهاجرين على مستوى الفرص الاقتصادية، كما يرتبط هؤلاء الأفراد أيضاً باتجاهات وتيارات أقوى مناهضة للهجرة، وقد ارتبطت المواقف المعادية للمهاجرين، بدورها، ارتباطاً وثيقاً بدعم اليمين المتطرف[27].

(26) Matt Golder, Idem

(27) Zachary B. Wolf, How the far right is surging in Europe, September 26, 2022 the link: https://edition.cnn.com/2022/09/26/politics/europe-far-right-what-matters/index.html

وفي السنوات الأخيرة، استغلت الأحزاب اليمينية أزمة فيروس كورونا لتأجيج المشاعر الساخطة لدى المواطنين، بسبب عدم استجابة الحكومة لوباء كورونا، والانتشار الواسع للمعلومات المضللة، باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، والتي وفرت مساحة أوسع للأفكار السياسية اليمينية المتطرفة والمحافظة التي تنمّ عن كره الأجانب، واستغلت تلك النقطة لترويج الأفكار المعادية للمهاجرين، باعتبارهم ناقلين للعدوى. وهو ما ظهر أثره سريعاً في إيطاليا بعد أول انتخابات منذ أزمة كورونا. وحالياً ساعدت الحرب الأوكرانية في تنامي الشعور القومي والهُوِيَّاتي لدى قطاع كبير من الأوروبيين. وهو عامل رئيسي في تفاقُم الوضع، وانتقال عدوى اليمين إلى دول مثل السويد وإيطاليا.

كما تكمن قوة الأحزاب اليمينية المتطرفة في أوروبا، والآخذة في التزايد، في إستراتيجيات التعبئة الناجحة حتى الآن عَبْر التضخيم من أخطاء الحكومات، كما يعتبرها البعض أكثر مرونة في التنظيم، ونخبها أكثر تفاعلاً مع المتغيرات الاجتماعية الحالية، ولديها قدرة كبيرة على التكيف مع تلك التغيرات. كما فعلت مارين لوبان في فرنسا بعد خسارتها انتخابات 2017، وعزلت والدها عن رئاسة الحزب، وأعلنت عن عدم تأييدها لسياسته، وكانت النتيجة أن أصبحت نداً قوياً في الانتخابات الأخيرة.

لقد نجح اليمين المتطرف في تبني خطاب يربط المشكلات الاقتصادية والمالية والاجتماعية التي ظهرت في أوروبا منذ عام 2008، بالمشكلات الأمنية والتهديدات الإرهابية، وخاصة تلك الناتجة عن الهجرة وتدفُّق اللاجئين، مع الترويج بعزمه إيجاد حلول لتلك المشكلات. وقد أدى مجمل ما سبق إلى اتساع القاعدة الشعبية للأحزاب اليمينية في أهم دول القارة الأوروبية.

خامساً: الموحِّدات العَقَديّة الأيديولوجية والفكرية لمشروع اليمين المتطرف في أوروبا

هل يمكن الحديث عن استنفاد أحزاب اليسار واليمين والوسط لجاذبيتها ومخزونها الأيديولوجي في مواجهة سَرْدِيَّة اليمين المتطرف المغالي في معاداته للمشروع الأوروبي وكراهية الأجانب والموقف السلبي من الهجرة، أم أن الأمر يتجاوز الإطار الأيديولوجي وصراع الأفكار والديماغوجية وتأثيرها على الشعوب إلى ما هو سياسات اقتصادية واجتماعية حيث إن اليمين المتطرف يستغل فشل الأحزاب التقليدية بأوروبا في إدارة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية خلال الأزمة الصحية وما بعدها، وخاصة في ظل الحرب الروسية الأوكرانية وانشغال الاتحاد الأوروبي بكل ما هو عسكري وأمني لتجنب انهيار أوكرانيا وسقوطها في يد الروس؟

إن مواقف السياسيين في اليمين المتطرف متشابهة في جميع أنحاء أوروبا: إنهم ضد الديمقراطية الليبرالية ويفضلون الديمقراطية ذات النوع الأكثر شعبوية أو الاستبدادية. وغالباً ما يؤكدون على الهُوِيَّة الدينية وأهمية القومية المسيحية، فضلاً عن أهمية دور الأسرة"[28].

كان لدى جناح الرئيس الأمريكي السابق ترامب من اليمين الأمريكي الكثير من الأمور المشتركة مع اليمين الأوروبي، لقد تلقت ميلوني دعماً صوتياً من ستيف بانون، مستشار ترامب السابق في البيت الأبيض الذي وُجهت إليه لائحة اتهام في نيويورك لدوره في مخطط لتمويل جدار على الحدود الجنوبية للولايات المتحدة مع المكسيك بشكل خاص، ويشجع رئيسة الوزراء الإيطالية على إلقاء المهاجرين في البحر.

أهم سمات اليمين المتطرف الأوروبي هو العداء للمهاجرين، والتشكيك في أوروبا، والشعبوية. يعتبر اليمين المتطرف نفسه ممثلاً للأغلبية الصامتة التي يُعتقد أن النخب السياسية تجاهلتها لفترات طويلة. يعرف مارتن شولتز أقصى اليمين بأنه راديكالي، قومي، معادٍ للسامية، ويزرع خطاب الكراهية والرهاب ضد الدين الإسلامي والمسلمين. ويعتقد بعض الخبراء أنه يشمل الشعبوية والاستبداد والمواطنة الأصلية (مود، 2007). يشير ياعيل تمير إلى أن المشكلة الرئيسية اليوم هي صِدام بين القومية والعولمة النيوليبرالية. يريد القوميون أن تتدخل الدول في السوق الاقتصادية من أجل الدفاع عن مواطنيهم. ويضيف إغنازي أن اليمين المتطرف تقليدياً يعارض الديمقراطية التمثيلية.

(28)Seyed Nader Nourbakhsh, Seyyed Abbas Ahmadi, Qiuomars Yazdanpanah Dero and Abdolreza Faraji: Rise of the Far Right parties in Europe: from Nationalism to Euroscepticism – Ageopolitics Quarterly, Volume: 18, No 4, Winter 2023 page 55 the link: http://journal.iag.ir/article_129481_6e23e152c58ba9f4e04dbf7072dbdcf0.pdf

بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الأحزاب تقف ضد أفكار مثل المساواة وقد تتخذ نهجاً استبدادياً في الكثير من الأحيان. واحدة من عواقب صعود اليمين المتطرف هي السيطرة على الحدود، والتي تعني أن الأمن القومي والمصالح الوطنية والهُوِيَّة الوطنية تقتضي الحذر من الخطر القادم من الهجرة والأجانب[29].
معظم الأحزاب اليمينية المتطرفة هي أيضاً شعبوية. والشعبوية في النهاية ليست أكثر من سيادة عقلية "نحن مقابل هم" أو كما يصفها مود،"أيديولوجية ضعيفة المركز"، وهي فكرة تنشئ فقط بنية أساسية لمجتمع مقسم إلى مجموعتين متجانستين ومتضادتين: مجتمع "نقي" الناس ضد النخبة "الفاسدة". في هذا السياق، فإن المؤسسات ينظر إليها على أنها كيانات مترابطة تهتم فقط برفاهيتها ولا تُعنى بمصالح الفئات العريضة من الشعب.
يرى بيتز أن الشعبوية لها دور حيوي في أيديولوجية اليمين المتطرف. يمكن أن يقيد الاستفتاء، باعتباره أحد الحلول الشعبية من حقوق الأقليات كالمسلمين مثلاً. يعتقد مولر أن الشعبوية، يُنظر إليها أحياناً على أنها اختصار "لانتقاد النخب والمهم هو الادعاء بأنهم هم وحدهم يمثلون ما يطلقون على "الأشخاص الحقيقيين" أو "الأغلبية الصامتة". وإعلان جميع المتنافسين الآخرين على السلطة غير شرعيين وسالبين للشرعية.
القومية المتطرفة هي الخاصية الأخرى التي تتعارض مع مبدأ المساواة بين البشر وفي بعض الحالات تؤدي إلى النزوع نحو العنصرية. حاولت أحزاب اليمين المتطرف الناجحة، التركيز على الهُوِيّة الوطنية والثقافية بدلاً من العنصرية البيولوجية. يعتقدون أن الهُوِيّة الوطنية مهددة من تدفقات المهاجرين والأقليات (كارتر، 2005). يخلص أقصى اليمين إلى أن وحده المواطن الأصلي للأمة يجب أن يكون على رأس أولويات الخدمة الاجتماعية (غيبيرناو، 2010: 12). يفترض Rydgren أيضاً أن هذه الأطراف تستفيد من الاتجاهات المعادية للأجانب في المجتمع. ولهذا فإن القومية المتطرفة هي تحدٍّ لعملية التكامل الأوروبي[30].

(29) idem, page 56

(30) Ankita Dutta Rising Euroscepticism in Europe: An Assessment, | 25 September 2018 the Link: https://www.icwa.in/show_content.php?lang=1&level=3&ls_id=2495&lid=1872

تجتمع أحزاب اليمين المتطرف أيضاً على تشكيكها في الاتحاد الأوروبي، وقد تم تقديم التعريف الأكثر شمولاً للتشكيك في الاتحاد من قِبل بول تاغارت وأليكس سزيربياك. فبالنسبة لهما، يمكن تعريف التشكيك في أوروبا بطريقتين - "التشكيك الصلب " و"التشكيك الناعم". يشير الأول إلى معارضة مبدئية تجاه الاتحاد الأوروبي والتكامل الأوروبي بشكل عامّ، ويتجلى هذا الأمر في الأحزاب السياسية التي تدعو إلى انسحاب بلدانها من عضوية الاتحاد الأوروبي. وتوصي هذه الأحزاب عادة بإعادة بناء العلاقات بين بلدانهم والمنظمة الأوروبية بما يتعارض مع التشريعات والسياسات داخل الاتحاد، مما يشير ضمنياً إلى معارضة فعلية لعضوية الاتحاد.

من ناحية أخرى، يشير التشكيك الناعم في أوروبا إلى معارضة واحدة أو عدد من سياسات الاتحاد الأوروبي ولا يعني اعتراضاً مبدئياً على مفهوم التكامل الأوروبي أو العضوية في الاتحاد. تعبر الأحزاب اللينة المتشككة في الاتحاد الأوروبي عن معارضة مشروطة له، على سبيل المثال، بناءً على معارضة قضية أو مسألة تتعلق بالمصلحة الوطنية. يوفر هذا التوصيف للتشكيك في أوروبا، سواء كان ناعماً أو صعباً، نهجاً يمكن من خلاله فَهْم السمات المختلفة ومتغيرات التشكك في الاتحاد الأوروبي[31].

تميل الأحزاب المشككة في الاتحاد الأوروبي إلى النظر إلى التكامل الأوروبي على أنه ظاهرة زحف بيروقراطية ونخبوية، وكانت تنتقد الطبيعة التنازلية لعملية التكامل الأوروبي. وبناءً على ذلك، يعمل التشكيك على تقويض مقومات التكامل في الاتحاد ومفهوم التعاون الإقليمي وقيم التضامن، بالمقابل إعلاء قيم الدولة القومية والهُوِيَّة الوطنية وسيادة الدولة[32] وكانت الأسباب الرئيسية التي ساهمت في التشكيك في أوروبا هي الأفكار القائلة بأن التكامل يضعف السيادة الوطنية والدولة القومية ؛ وحسب هذا الاتجاه، فإن الاتحاد الأوروبي بيروقراطي للغاية وتدفعه النخبة؛ يشجع على ارتفاع مستويات الهجرة؛ أو أنها مجرد منظمة ليبرالية جديدة تستفيد منها نخبة من رجال الأعمال على حساب الطبقة العاملة[33].

(31) idem

(32) Standard Eurobarometer 89, "Europeans and the future of Europe", Spring 2018, http://ec.europa.eu/commfrontoffice/publicopinion/index.cfm/Survey/getSurveyDetail/instruments/STANDARD/surveyKy/2018

(33) The Rise of European Populism and the Collapse of the Centre Left, Brookings, 8 March 2018, https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2018/03/08/the-rise-of-european-populism-and-the-collapse-of-the-center-left/

أظهر استطلاع يور وباروميتر لمواطني الاتحاد الأوروبي أن الثقة في هذا التكتل الإقليمي ومؤسساته قد تراجعت منذ ذروتها في عام 2007. ومنذ ذلك الحين انخفضت النسبة إلى أقل من 50٪. أظهر استطلاع للرأي سنة 2009 أن الدعم لعضوية الاتحاد الأوروبي كان الأدنى في لاتفيا والمملكة المتحدة والمجر. وبحلول عام 2016، كانت الدول التي تنظر بعين الشك والريبة في جدوى ودور الاتحاد الأوروبي هي اليونان وفرنسا وإسبانيا والمملكة المتحدة.

وقد تم إجراء استفتاء على استمرار عضوية المملكة المتحدة في الاتحاد الأوروبي في عام 2016، مما أدى إلى تصويت 51,9٪ لصالح مغادرة الاتحاد الأوروبي. منذ ذلك الحين، ارتفع منسوب الثقة بشكل طفيف في الاتحاد الأوروبي في معظم دوله نتيجة لانخفاض معدلات البطالة وتسريع النمو الاقتصادي. وفقاً لاستطلاعات يورو باروميتر لربيع 2018، يعتقد ثلثا الأوروبيين أن بلادهم قد استفادت من كونها عضواً في الاتحاد الأوروبي، وهي أعلى نسبة مئوية منذ عام 1983 وزيادة بمقدار ثلاث نقاط مئوية منذ عام 2017. بالإضافة إلى أن 60٪ من الأوروبيين يفكرون في أن العضوية في الاتحاد الأوروبي حققت العديد من الإنجازات لبلدانهم. ارتفعت مستويات الدعم للاتحاد الأوروبي في 26 دولة من أصل 28 دولةً عضواً في الكتلة - باستثناء ألمانيا والمملكة المتحدة اللتين سجلتا انخفاضاً في الدعم بنسبة 2٪. ومع ذلك، عندما يتعلق الأمر بالثقة في المؤسسات الأوروبية على المدى الطويل، يعتقد الكثير من الأوروبيين أن الاتحاد يسير في الاتجاه الخاطئ (42٪) أكثر من الاتجاه الصحيح (32٪)[34].

يعاني الاتحاد الأوروبي من انقسامات عميقة حول كيفية تشكيل مستقبله. يمثل استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في عام 2016 السيناريو الأسوأ بالنسبة للاتحاد الأوروبي من حيث تأثير التشكيك في الاتحاد الأوروبي. كان لبريطانيا علاقات ومبادلات تجارية ضخمة مع الاتحاد الأوروبي، حيث تم تقييم العضوية من حيث التكاليف والفوائد. علاوة على ذلك، وجدت بريطانيا في كثير من الأحيان أن سياسات الاتحاد الأوروبي غير متوافقة مع مصالحها. لطالما تضمنت السياسة البريطانية فصيلاً سياسياً من المحافظين، كان مشككاً في تحقيق تكامل أعمق مع بقية أوروبا. نما هذا الفصيل بشكل قوي وواجه الاتحاد الأوروبي في أعقاب الأزمة المالية لعام 2008.

(34) وردة عبد الرازق، تداعيات تصاعُد اليمين المتطرف في أوروبا، 9 أكتوبر 2022
الرابط: https://rcssegypt.com/11912

ركزت الحجتان الأكثر شيوعاً لصالح خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي على فشل القواعد الليبرالية للاتحاد الأوروبي للهجرة الداخلية واللوائح الاقتصادية المرهقة للاتحاد الأوروبي. ورغم ما يبدو إن الجدل حول التنظيم الاقتصادي والفصل بين سيادة الاتحاد وسيادة الدول يهيمن على الحالة الفكرية لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، فإن الجاذبية السياسية لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي تعتمد بشكل كبير على الموقف البريطاني من قضية الهجرة.
لم يغير خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي الجوَّ السياسي الداخلي فحسب، بل كانت له تداعيات سياسية حاسمة داخل الاتحاد وعلى علاقاته مع الدول الأخرى. أصبح واضحاً بعد التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أن التشكيك في الاتحاد الأوروبي يستمد قوته من معارضة الهجرة الجماعية، ورفض الانسلاخ الثقافي، والتسليم المفترض للسيادة الوطنية وتحويلها إلى هيئات دولية لا تعبر عن مصالح كل الدول وغير متفاعلة مع القضايا الحارقة التي تهم المواطن الأوروبي[35].

(35) اليمين المتطرف يجتاح أوروبا سياسياً الأسباب والتداعيات، مرجع سابق.

سادساً: انعكاسات وصول أحزاب اليمين المتطرف على المشهد السياسي في أوروبا

السِّمَة الرئيسية الغالبة على الجماعات والأحزاب المنضوية تحت لواء اليمين المتطرف بشكل عامّ، سواء أكانت أحزاباً داخل السلطة أم أخرى معارضة لها، هي تلك الأبواق التي تتحدث دوماً عن وجود تهديد عِرْقي أو ثقافي ضد العِرْق الأوروبي، والقادم من قِبل مجموعات تصفها بأنها "دخيلة" على المجتمع، وعن ضرورة الحفاظ على الهُوِيَّة الوطنية، ومن ثَم تأتي سياسة اليمين المتطرف التي تعارض الهجرة والمهاجرين بشدة.

أضف إلى ذلك سياسة التحيزات الدينية؛ إذ تعتبر الأحزاب اليمينية نفسها موكلة بالدفاع عن الديانة والقِيَم المسيحية في مواجهة الديانات الأخرى، الأمر الذي يثير صراعات وانتقادات للديانات الأخرى ومعتنقيها، وخاصة الدين الإسلامي، ومن ثَمّ يستمر الترويج لفكرة أنهم يشكلون بؤراً للإرهاب، الأمر الذي قد يؤدي إلى تصاعُد ظاهرة الإسلاموفوبيا في مختلف أرجاء أوروبا أكثر وأكثر، خاصة أن بروز اليمين المتطرف في أوروبا تزامن مع ظهور الإسلاموفوبيا في المجتمعات الأوروبية في السنوات الأخيرة.

وقد يضاعف من مخاوف الجاليات المسلمة في أوروبا، أو المهاجرين عامة، سعي بعض الحكومات الأوروبية في ظل تصاعُد الأحزاب اليمينية، واتساع القاعدة الشعبية المؤيدة لها يوماً بعد يوم بشكل ملحوظ، للمزايدة على ما تطرحه أحزاب اليمين المتطرف، عَبْر تبنِّي خطاب يتماهى مع خطاب تلك الأحزاب، بهدف استعادة الأصوات الانتخابية التي استحوذ عليها اليمين مؤخراً، الأمر الذي قد يدفع الحكومات إلى اتخاذ خطوات ضدّ الجاليات المسلمة لتعزيز موقعها في الشارع الانتخابي. ويُعتبر تصريح سابق للرئيس الفرنسي في أواخر 2020 إشارةً مقلقةً حيال هذا الأمر، حينما قال: إن مسلمي فرنسا يشكلون "مجتمعا مضادّاً"، وأن الإسلام يواجه "أزمة في مختلف دول العالم. علماً بأن عدد مسلمي فرنسا تجاوز 6 ملايين مواطن وفقاً للبيانات الرسمية.

وبعدما وصل صعود اليمين الراديكالي لهياكل الاتحاد وخاصة السلطة التشريعية التي يمثلها البرلمان الأوروبي، يمكن اعتبار أن هذا الأمر بمثابة تهديد محتمل لتماسُك التكتل الأوروبي، كما من شأنه زيادة النزعة المتطرفة في الأوساط السياسية في أوروبا بوجه عامّ، خاصة في ظل التنسيق المتبادل بين التكتلات اليمينية في مختلف أنحاء القارة، كما هو حاصل بين بولندا وإيطاليا والمجر، فقد سبق وأعربت جورجيا ميلوني (رئيسة وزراء إيطاليا) عن تقديرها الكبير لسياسة رئيس الوزراء المجري فيكتور أوربان.

اجتمعت أحزاب اليمين المتطرف في البرلمان الأوروبي لتشكل كتلة سياسية موحدة تحت اسم الهُوِيَّة والديمقراطية (ID) هي مجموعة جديدة تم تشكيلها من قِبل أعضاء في البرلمان الأوروبي تشمل الأحزاب التالية: التجمع الوطني، فلامز بيلانغ، ليغا، Freiheitliche Parti Österreichs، Dansk Folkeparti، Svoboda a Eestig prima demokracie، Alternative für Deutschland، Perussuomalaiset Konservatiivne Rahvaerakond.

خلال الانتخابات الأوروبية في مايو 2019، انتخب حوالَيْ (200) مليون أوروبي أعضاء البرلمان الأوروبي لتمثيلهم على مدى السنوات الخمس المقبلة في البرلمان الأوروبي الجديد. يتم تنظيم أعضاء البرلمان الأوروبي في مجموعات سياسية بناءً على انتماءاتهم السياسية. وتضم (65) عضواً، مما يجعلها خامس أكبر مجموعة في البرلمان[36].

إضافة إلى انعكاس وصول اليمين المتطرف إلى السلطة في أوروبا من تغيير الديناميات المتعلقة بالقرار التشريعي داخل البرلمان الأوروبي وتأثير أداء الحكومات على مستقبل الشعوب الأوروبية من خلال عودة السياسات الحمائية ونشر الخطابات القومية والنزعات الهُوِيَّاتية وسيادة مشاعر الكراهية والتمييز على أساس العِرْق والجنس والدين والدعوة إلى طرد المهاجرين وتغيير السياسات المتعلقة بالهجرة والمهاجرين، فإن نجاح أحزاب اليمين المتطرف تؤثر بشكل عام على الاندماج الأوروبي وعلى المواقف والعلاقات الخارجية مع المجتمع الدولي.

(36) Ian Bremmer, These 5 Facts Explain the Worrying Rise of Europe's Far-Right, (Time, October 15. 2015), available at: http://goo.gl/qg81Ba

سابعاً: السياسات الأوروبية المحتملة إزاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل صعود اليمين المتطرف

يُثير الصعود المُطّرد والملحوظ للتيارات اليمينية في أوروبا، العديد من الاستفسارات حول طبيعة السياسة الخارجية التي ستتبنّاها تلك التيارات تجاه منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في ظل أزمات اللاجئين الضاغطة على أوروبا، وطبيعة التوازنات وخريطة التحالُفات السياسية التي ستُسهم تلك التيارات في تشكيلها مع دول المنطقة.

وقد ساهمت الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها القارة الأوروبية في الفترة الماضية في خلق بيئة حاضنة لنموّ تلك التيارات، وخاصةً ترسيخ نظرتها السلبية للمهاجرين، لا سيما القادمين من مناطق الصراع في الشرق الأوسط، بما جعل تلك التيارات المختلفة تتفق على كون المهاجرين يهددون القومية الأوروبية من خلال أَسْلَمَة أوروبا، بما يهدد الأفكار الأوروبية القائمة على العلمانية وفَصْل الدين عن الدولة، بالإضافة إلى أنهم يسيئون استغلال مزايا دولة الرفاه (كبرامج الإعانة وغيرها)، طبقاً للفكر اليميني{36}.

وتتمثل أبرز الملفات التي ستسعى تلك التيارات للتعاطي معها في المنطقة فيما يلي:

1. الهجرة واللاجئون:

يأتي على قمة أولويات التيارات اليمينية الأوروبية قضية هجرة مواطني دول منطقة الشرق الأوسط، وتدفُّق اللاجئين إلى دول القارة الأوروبية، لا سيما من الدول التي تشهد صراعات مسلحة ؛ إذ تتشارك غالبية تلك التيارات في رفض استقبال المهاجرين من كافة أنحاء العالم، وبالتحديد من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ حيث في الفترة الأخيرة أصبحت التيارات القومية الأوروبية تتبنى نبرة خطابية عدائية تجاه المهاجرين المسلمين من دول الشرق الأوسط، لكونهم - وفقاً لتلك التيارات - لا يهددون الأمن الأوروبي فحَسْبُ، بل أيضاً الهُوِيَّة الأوروبية المسيحية، ويضيفون أعباء اقتصادية جديدة على معظم الدول الأوروبية.

وقد بدَا ذلك واضحاً في المواقف التي تبنتها أحزابُ: "البديل من أجل ألمانيا"، و"الجبهة الوطنية" في فرنسا، و"الحرية" في كل من النمسا وهولندا، و"الشعب" في سويسرا، وغيرها، والتي اعتبرت أن "اللاجئين والمهاجرين المسلمين يشكلون خطراً على المجتمعات الأوروبية يجب مواجهته"، بل وتمادت بعض الأصوات المتطرفة في رفع شعارات "أوروبا خالية من الإسلام"[37].

يُضاف إلى ذلك، ترفض معظم تلك الأحزاب الاتفاق "التركي-الأوروبي" بخصوص ملفّ اللاجئين الذي وُقِّع في مارس 2016؛ لكونه لن يعالج جذور المشكلة من الأساس بقدر ما يعمل على تصديرها للخارج. فضلاً عن أنه يفتح المجال لتعاون أوسع مع تركيا، ويتيح لها فرصة للانضمام لاحقاً للاتحاد الأوروبي، بما يهدد الهُوِيَّة والقومية الأوروبية[38].

ولذا، يُتوقع أن يعُاني لاجئو دول منطقة الشرق الأوسط من سياسات أكثر تشدداً من جانب تلك التيارات التي تعتمد بالأساس على عدد من العناصر التي وردت على لسان قادة تلك التيارات المتطرفة؛ لعلَّ أبرزها[39]:

(أ) إغلاق الحدود بشكل كامل أمام دخول لاجئين جدد للأراضي الأوروبية، وإعطاء تعليمات لحرس الحدود بإطلاق النار على أي مهاجر أو لاجئ يحاول الدخول بشكل غير شرعي للبلاد، كما جاء على لسان "فروك بتري" رئيس حزب "البديل من أجل ألمانيا".

(ب) تضييق الخناق على الإعانات التي تقدمها الحكومة للمهاجرين، بما في ذلك الرعاية الصحية والخدمات التي يحصل عليها المهاجرون، إلى جانب تقليل أعداد طالبي اللجوء.

(ج) غلق جميع المدارس الإسلامية المنتشرة في الدول الأوروبية، وكذلك الجمعيات الإسلامية التي تقدم خدمات للاجئين والمهاجرين المسلمين، مع عدم السماح بإقامة مزيد من المساجد، وعدم السماح بممارسة الشعائر الدينية الإسلامية.

وقد صاحب ذلك الاتجاهَ، وجودُ توجُّه شعبي أوروبي قويّ بضرورة إعادة اللاجئين إلى أراضيهم، والتخلي عن الدور الإنساني للدول الأوروبية؛ حفاظاً على الأمن والهُوِيَّة القومية الأوروبية. وبرغم تأكيد ذلك الأمر من جانب غالبية التيارات اليمينية في أوروبا، إلا أنه لم تُعلن تلك الأخيرة حتى الآن إستراتيجية واضحة حول كيفية ترحيل اللاجئين، وهل سيتم ترحيلهم إلى بلادهم الأصلية بما قد يضيف أعباء على دول المنطقة، أم ستحيلهم إلى دولة وسيطة في ظل استمرار رفضهم للاتفاق "التركي-الأوروبي".

(37) The rise of Europe's far-right", TRT World, (June 23. 2016), available at: https://goo.gl/Kgq3Eu

(38) Susi Dennison & Dina Pardijs, "The world according to Europe's insurgent parties: Putin, migration and people power", (European council on foreign relations, June 23. 2016) available at: https://goo.gl/VKDTEK

(39) THE NEW YORK TIMES, "Europe's Rising Far Right: A Guide to the Most Prominent Parties", (THE NEW YORK TIMES, UPDATED December 4, 2016|), available at: https ://goo.gl/fLrq1C

وتشكل الحرب الروسية الأوكرانية أيضاً معطى جديداً وتحولاً مركزياً في سياسة الدول الأوروبية بخصوص الهجرة واللجوء حيث ستكون الأولوية لاستقبال مهاجرين أوكرانيين ومن دول أوروبا الشرقية، وبالتالي إقفال الحدود بشكل نهائي في وجه القادمين من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وغيرها من المناطق الجغرافية، والتقليص من نسبة المهاجرين الشرعيين ونسبة التأشيرات الممنوحة لمواطني هذه المناطق.

2. الموقف من الملفّ السوري

لا يتوقع أن يكون هناك تغيير كبير في مواقف الحكومات الغربية من النظام السوري والتحوُّلات المتعلقة بالملفّ السوري فأهم الدول الأوروبية لم تَعُدْ ترفع شعار مغادرة الأسد للحكم كما أنها تلتزم عموماً بالإستراتيجية التي اعتمدها الاتحاد الأوروبي في 3 نيسان/ إبريل 2017 [40]. تتناسب هذه الإستراتيجية مع إستراتيجية الاتحاد الأوروبي الإقليمية لسورية والعراق، وكذلك مع التهديد الذي يشكله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

وترتكز الأهداف الإستراتيجية التي يسعى إليها الاتحاد الأوروبي في سورية إلى مجالات رئيسية أهمها:

-وضع نقطة نهاية للحرب من خلال الشروع في انتقال سياسي حقيقي.

-تعزيز الانتقال الديمقراطي البنّاء والشامل في سورية.

-إنقاذ المدنيين من خلال تلبية الاحتياجات الإنسانية للسوريين.

-تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية التعبير.

-تحريك المساءلة القانونية عن جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية.

لكن في الحقيقة، يرتبط موقف التيارات اليمينية الأوروبية من الصراع السوري بشكل مباشر بتزايُد تدفُّق اللاجئين لأوروبا؛ حيث تُبدي تلك التيارات ميلاً واضحاً لاستمرار نظام الأسد، لكونها ترى أن استمراره، مع وقف الدعم المادي والعسكري لتيارات المعارضة الداخلية السورية، قد يتيح الفرصة لإحداث تسوية سياسية من شأنها أن تعيد اللاجئين السوريين إلى أراضيهم.

(40) Syrie: r»ponse de l'UE à la crise,
https ://www.consilium.europa.eu/fr/policies/syria/

ويتزامن ذلك الأمر، مع تأييد تلك التيارات للتعاون مع روسيا، والدعوة للتقارُب مع الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" من أجل إيجاد مخرج للأزمة السورية[41]، وهو ما قد يؤشر في ظل سيطرة التيار اليميني على أوروبا لإمكانية حدوث صفقة بين الاتحاد الأوروبي وبين روسيا من شأنها رفع العقوبات عن الأخيرة في مقابل ضغطها على نظام الأسد لتهدئة الأوضاع في سورية بما يسمح بعودة اللاجئين وتخليص أوروبا من ذلك العبء، لا سيما مع رفض غالبية الأحزاب اليمينية للتدخل العسكري في سورية، وعدم اعتباره حلاً مطروحاً على الطاولة[42].

يمكن اعتبار أن فكرة التقارُب مع روسيا لحل الأزمة السورية أصبحت تتلاشى حالياً في ظل الحرب الروسية الأوكرانية، وأصبح هذا الملف لا يشغل كثيراً الجانب الأوروبي، وخاصة في ظل الأولوية التي تُعطى للملف الأوكراني، وبالتالي يمكن اعتبار أن الوضع السوري حالياً تتحكم فيه حسابات إقليمية جديدة مع تصاعُد الدور التركي ودوره في تحقيق التوازن بين القوى المتصارعة في سورية والاهتمام أكثر بتأمين الحدود السورية التركية والتحكم أكثر في مسألة تدفُّق اللاجئين عَبْر تركيا إلى دول أوروبا الشرقية.

3. الموقف من الصراع العربي الإسرائيلي

تنقسم التيارات القومية في وسط وغرب أوروبا حول سُبُل التعاطي معه؛ ففي حين تُعلن بعض التيارات القومية في وسط أوروبا عن رفضها صراحةً لوجهات النظر الإسرائيلية، بل وتتهمها، مع النخبة اليهودية العالمية، بـ"استعباد الفلسطينيين" والسيطرة على توجُّهات الحكومة الأمريكية؛ نجد أن دول غرب أوروبا مؤيدة لإسرائيل، انطلاقاً من اعتقادهم بأن التهديدات التي تواجه الأمن الإسرائيلي والأوروبي -على السواء- تنبع من الإسلام، وأنهم يخوضون نفس الحرب، بما يدفع إلى ضرورة دعم أوروبا لإسرائيل[43].

(41) Leonid Ragozin, "Putin's Hand Grows Stronger as Right-Wing Parties Advance in Europe", (Bloomberg, March 15, 2016(, available at: https://goo.gl/kN8o6f

(42) Susi Dennison & Dina Pardijs, "The world according to Europe's insurgent parties: Putin, migration and people power", op cit

(43) Yehuda Ben-Hur Levy, "The Undiplomats: Right-wing populists and their foreign policies", (Center for European reform, August 2015), p6. Available at: https://goo.gl/3Waolg

ويمكن القول: إن هناك صفقة غير مُعلَنة قامت عليها العلاقة بين إسرائيل والتيارات الشعبية اليمينية في أوروبا: يمكن للفاشيين والنازيين الإشادة بقتل اليهود وتمجيد الانتصار عليهم، لكن شريطة الدفاع عن مصالح إسرائيل داخل الاتحاد الأوروبي، وهو ما يتوافق مع تصريح سابق لنتنياهو قال فيه: إنه يهدف إلى الوصول إلى توازُنات في العلاقة التي تربط بلاده بالاتحاد الأوروبي في ظل العزلة التي تعاني منها بسبب عدم تبني أوروبا لجميع توجُّهاتها في عدد من القضايا[44].

تنتظر إسرائيل إذَنْ من حلفائها الجُدُد دعمها في الاتحاد الأوروبي، ومن جهتها ترى الحركات اليمينية في إسرائيل نموذجاً مُدهشاً للدولة التي تحلم بها، فهي دولة عِرقية قومية تتحكَّم بحزم في حدودها وتُحصِّن نفسها بنجاح في منطقة مُعادية لها، بالإضافة إلى ذلك، يُبدي الفاشيون نوعاً من التعاطف مع تل أبيب كون دولة الاحتلال تتقاسم مع أوروبا التراث المسيحي اليهودي، ذلك التراث الذي يَعتبر اليمين رأس الحربة في الحرب الثقافية والدينية مع المشرق الإسلامي، لذلك يُعَدُّ الحفاظ عليه أحد أهم الأسلحة في هذه المعركة.

ويبدو أن هناك سبباً وجيهاً آخر يدفع اليمين الأوروبي للتحالف مع الصهيونية بالإضافة إلى كراهية الإسلام والمسلمين، وهو الرغبة في الاستفادة من الترسانة العسكرية والتكنولوجية لدولة الاحتلال المُجرَّبة فاعليتها على الأرض. يحلم اليمينيون بالتعامل بوحشية مع اللاجئين، هذه "اليوتيوبيا الفاشية" تتحقق فعلياً في إسرائيل التي تتعامل بسياسة "الرصاص المفتوح" تجاه الفلسطينيين منذ سنة 1948 حتى يومنا هذا، وهو ما دفع شخصاً مثل مارسيل يارون غولهامر، وهو ألماني اعتنق الديانة اليهودية، إلى وصف خدمته في جيش الاحتلال الإسرائيلي بأجمل تجارب حياته، بعد أن وضع سلاحه وعاد إلى بلاده للنضال في صفوف حزب "البديل من أجل ألمانيا"، مُنادياً بطرد المسلمين من البلاد حتى لا تصبح ألمانيا مُحاطة بأعدائها كما يحدث في إسرائيل، على حدّ وصفه[45].

لكن على مستوى الاتحاد الأوروبي لا يُتوقع من هذه الحكومات اليمينية أيضاً أن تُحرّك عملية السلام المتوقفة بين الفلسطينيين والإسرائيليين منذ 2014 كما أن مواقفها إزاء إسرائيل لا تبتعد كثيراً عن مواقف الأحزاب الكلاسيكية في أوروبا والتي في أغلبها تدعم إسرائيل وتعمل على ضمان استمرار مصالحها معها على حساب حقوق الشعب الفلسطيني.

(44) المهدي الزيداوي: اليمين الأوروبي وإسرائيل.. قصة "عشق ممنوع" يستهدف العرب والمسلمين، الرابط:
https://www.aljazeera.net/midan/reality/politics/2021/12/14

(45) Von Charlys Hawly : Europe's Right-Wing Populists Find Allies in Israel the link :
https://www.spiegel.de/international/europe/the-likud-connection-europe-s-right-wing-populists-find-allies-in-israel-a-777175.html

كما أن وصول الحكومة اليمينية المتطرفة في إسرائيل بقيادة نتنياهو قد يعصف بكل آمال التسوية والوصول إلى حل الدولتين وَفْق قرارات الأمم المتحدة. وبالتالي فإن الموقف الأوروبي بخصوص تطوُّرات الوضع في الأراضي الفلسطينية وبرغم اختلافه نسبياً عن الموقف الأمريكي، فإنه من غير المرجح أن يُسهم في دعم الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني وتعزيز عملية السلام ووقف سياسة الاستيطان الإسرائيلية، بل أكثر من ذلك يجمع الفاشيةَ الأوروبيةَ الجديدةَ وإسرائيلَ العنصريةَ العديدُ من القواسم الشعبوية المشتركة أهمها كراهية الإسلام والمسلمين.

4. الموقف من إيران

تشمل مصالح الاتّحاد الأوروبي المتعلّقة بإيران المحافظة على الاستقرار في منطقة الخليج التي لا تزال منطقة مهمّة بشكل كبير لإمدادات النفط وأسعاره العالمية، وحلّ الصراعات في الشرق الأوسط، بهدف تفادي تدفُّق المزيد من اللّاجئين إلى أوروبا نتيجة عدم استقرار الدول وانهيارها، وتنويع إمدادات الاتّحاد الأوروبي من الطاقة من خلال زيادة الواردات الإيرانية وتخفيض اعتماد أوروبا الكبير على الطاقة من روسيا، وتعزيز صادرات سلعه الصناعية من خلال توسيع العلاقات الاقتصادية مع إيران في وقت سجّلت معدّلات النموّ الأوروبية أرقاماً منخفضة على مدى العقد المنصرم[46].

كما تمثل العلاقات الأوروبية مع إيران معضلة حقيقية بالنسبة للتيارات اليمينية الصاعدة في أوروبا. ففي الوقت الذي تحتاج فيه تلك التيارات لإيران لتسوية الأزمة السورية بما قد يُسهم في وقف تدفُّق اللاجئين لأوروبا من ناحية، وإمدادها بالطاقة من ناحية أخرى، تتخوَّف الدول الأوروبية من أن تؤدي التطوُّرات القادمة في الشرق الأوسط إلى حرب واسعة في ظل تعثُّر تطبيق الاتفاق النووي بعد انسحاب الطرف الأمريكي في عهد الرئيس ترامب وعدم وصول الإدارة الأمريكية الحالية إلى صيغة مقبولة للعودة لخطة العمل الشاملة المشتركة 5+1 (JCPOA) مع استمرار إيران في تجاربها النووية[47]، وهو ما قد يؤثر بالسلب على الأمن الإقليمي والأوروبي.

ومن ثَمّ قد تسعى التيارات اليمينية للحفاظ على علاقات متوازنة مع إيران بما يضمن لها الدعم الإيراني في مجال الطاقة، والضغط من ناحية أخرى لعدم التعرض للصفقة النووية، بما يضمن عدم اندلاع توترات أمنية أخرى في الإقليم تؤثر على الأمن الأوروبي المرتبط بشكل مباشر بالأمن في منطقة الشرق الأوسط.

(46) Ali Fathollah-Nejad, Europe and the future of Iran policy: Dealing with a dual crisis Monday, October 22, 2018 the link: https://www.brookings.edu/research/europe-and-the-future-of-iran-policy-dealing-with-a-dual-crisis/

(47) HOMAS BURROWS, “Trump's Iran stance could threaten a WORLD WAR and the destruction of Israel, warns Tehran as it cautions the Donald against 'provoking' them in the Middle East”, (DailyMail, December 12. 2016), available at: https://goo.gl/3tJlpK

خاتمة

من الراجح أن صعود اليمين الأوروبي سيدفع إلى إعادة تشكيل خريطة التحالفات السياسية في أوروبا، سواء على المستوى التشريعي والتنفيذي وتحديد الأولويات بالنسبة للحكومات الأوروبية التي تصارع من جهة لتصحيح مسار الاندماج الأوروبي، وخاصة أن التيارات اليمينية تقف موقف المشكك في الاتحاد الأوروبي، لكنها في نفس الوقت لا يمكن لها تغيير قواعد اللعبة السياسية بالكامل وتحاول الاستفادة من الاتحاد للخروج من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، لكن دون التخلي عن الطموحات القومية السيادية ومواقفها من الهجرة والمهاجرين.

وعلى المستوى الدولي، لا تستطيع هذه الحكومات أن تغير من واقع التحالفات مع العديد من دول الشرق الأوسط بل قد تسجل تقارباً كبيراً مع العديد من الأنظمة السلطوية والأبوية في المنطقة، برغم أن طبيعة تلك التحالفات وتداعياتها على الطرفين سواء الأوروبي أم الشرق أوسطي ما زالت غير واضحة بشكل كبير، وستظل ملامحها رهينة بالتطوُّرات التي قد تحدث في المستقبل، وخاصة على مستوى جاذبية المصالح الأوروبية واحتياجاتها المتزايدة من النفط والغاز وفي ظل الحرب الروسية الأوكرانية، التي تجعل الحكومات الأوروبية قد تراهن على دول الشرق الأوسط من جهة الاستفادة من الخيرات الاقتصادية للمنطقة، ومن جهة أخرى ضمان الاستقرار والأمن فيه للتحكم والحدّ من الهجرة غير النظامية وتدفُّق اللاجئين نحو أوروبا.

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net